المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
مسار تفسير وحديث

# جمع سورة النساء من ٥٤- ٦٠
# من جميع كتب التفسير المقررة

إعداد الطالبة
نسرين عبد الله با داود

مقدم للدكتورة
وفاء الزعاقي

العام لجامعي : ١٤٣٥-١٤٣٦هـ

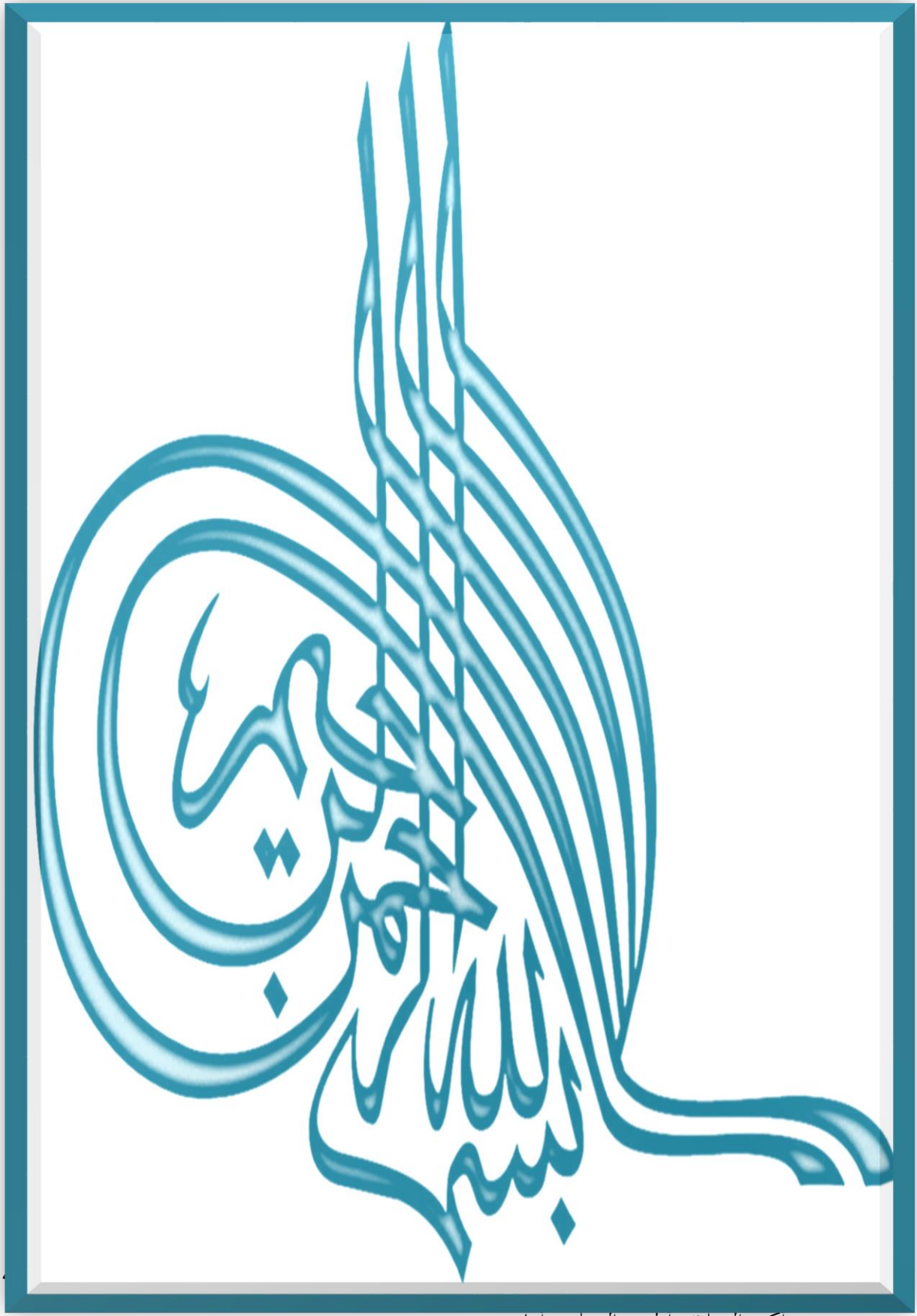


وصحبه ازكى الصلاة واطيب التسليم، اما بعد .

فإنّه يسرني أن أقدم جمع تفسير آيات سورة النساء والتي كُلفت بها من قبل أستاذة المقرر—وفقها الله-

.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ (١)

## تحليل الآية الأولى

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

### سبب النزول:

عن ابن عباس ﷺ قال: أن أهل الكتاب قالوا: يزعم محمد ﷺ أنه أُوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة، فأي ملك أفضل من هذا؟! فنزلت.

أَمْ يَحْسُدُونَ : أي: بل يحسدون.

وقيل: بمعنى ألف الاستفهام.

اللغة: أم: هذه منقطعة، مفيدة للانتقال عن توبيخهم بأمر إلى توبيخهم بآخر، فتقدر بـ(بل)(٢)

---

(١) سورة النساء: ٥٤-٦٠.

(٢) وقدرت ب(بل) لأنها: حرف إضراب. فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب إما الإبطال، أو الانتقال. انظر مغني اللبيب(١٥١)

والهمزة للاستفهام الذي يصحبه الإنكار، والمعنى: (بل يحسدون رسول الله ﷺ والمؤمنين . على إنكار الحسد واستقباحه.)[١].

يَحْسُدُونَ : تمني ألا يصل إلى أحد نعمة وإن كان لا تنقصهم – أي اليهود – ، فحازوا بذلك أعلى خلال الذم.

والحسد: تمنّى زوال ما أعطى الله - الإنسان من الخير وإيتاؤه له، مع تمني زواله[٢].

ٱلنَّاسَ : **اختلف في تحديدهم على عدة أقوال، وهي:**

- أنّ الله - عنى محمد ﷺ خاصّة؛ قاله ابن عباس ﷺ ومجاهد وعكرمة والسُّدي. لأنه جمع فضائل الناس كلهم من الأولين والآخرين وزاد عليهم ما شاء الله.
- النبي وأصحابه. قاله علي بن أبي طالب.
- أنّ الله - عنى به العرب، قاله قتادة.
- أن المقصود قريش، ذكره القرطبي عن الضحاك[٣].

**وقد رجّح الإمام الطبري بأن المراد محمدا ﷺ وأصحابه.**

**قال الطبري:** "وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن ما قبل قوله: **(أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)**، مضى بذّم القائلين من اليهود للذين كفروا: **(هؤلاء أهدىَ من الذين آمنوا سبيلا)**، فإلحاق قوله: **(أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)**، بذمهم على ذلك، وتقريظ الذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل ، أشبه وأولى، ما لم تأت دلالة على انصراف معناه عن معنى ذلك[٤]".

وقد جاز أن يقع على النبي ﷺ لفظ (الناس) وهو واحد؛ لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون في جماعة[٥].

فَضْلِهِۦ : **اختلف في تحديد نوع هذا الفضل عدة أقوال، وهي:**

- أنّ ذلك الفضل هو النبوّة، قاله قتادة وابن جُريج.
- أنّ الله أباح لنبيه ﷺ أن ينكح من النساء ما شاء بغير عدد، قاله ابن عباس م، والضحاك والسُّدي.

---

(١) ينظر: الكشاف (ص:٢٤١) .بتصرف، وانظر الشوكاني/ فتح القدير (٧٦٣/١)

(٢) تفسير البحر، (٣ / ٢٨٤)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤١٥/٦).

(٤) تفسير الطبري ( ٧/ ١٥٥ )

(٥) ينظر: الوسيط للواحدي ( ٢ / ٦٧ )، تفسير السعدي ( ص: ١٨٢ ).

- المراد بالفضل النبي ﷺ.
- النبوة والنصر وقهر الأعداء.

والذي يظهر أن اليهود طغوا في حسدهم حتى شمل هذه الأمور كلها، فحسدت العرب أن كان منهم نبي، وحسدت قريش أن كان منهم النبي ﷺ، وحسدت النبي ﷺ لأنه اختير للنبوة من دونهم.

**وقد رجّح الطبري** أنّ المراد بالفضل في هذا الموضع "(النبوة) التي فضّل الله - بها محمد ﷺ، وشرّف بها العرب إذ آتاها رجلا منهم دون غيرهم؛ لما ذكرنا من أنّ دلالة ظاهر هذه الآية، تدلّ على أنّها تقريظ للنبي ﷺ وأصحابه رحمة الله عليهم على ما قد بينا من قبل، وليس النكاح وتزويج النساء _ وإن كان من فضل الله الذي آتاه عباده_ بتقريظ لهم ومدح"(١).

**فَقَدْ : اللغة:**

- للسببية ، وجاءت هنا لتعليل الاستنكار والاستقباح إلزاما لهم بما هو مسلم عندهم(٢)، وللتنبيه على التوصيف الذي شاركوهم به في استحقاق الفضائل(٣).
- عطف على مقدر من معنى الاستفهام الإنكاري، توجيها للإنكار عليهم، أي فلا بدع فيما حسدوه إذ قد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك(٤).

**ءَاتَيْنَآ : أي بما لنا من العظمة(٥).**

**ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ: أي:** أهله واتباعه على دينه(٦)، هذا إلزام لليهود بما يعترفون به ولا ينكرونه، فقد أُعطيَ آل إبراهيم عليهم السلام، ومنهم: سليمان وداود أعطيا النبوة والكتاب ، وأعطيا مع ذلك ملكاً عظيماً في أمر النساء(٧).

**ٱلْكِتَٰبَ** : تعريف الجنس، وهو كتاب الله الذي أوحاه إليهم، فيشمل صحف إبراهيم، وصحف موسى، وما أنزل بعد ذلك(٨).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ( ٧/ ١٥٨ )، بتصرف يسير.
(٢) محاسن التأويل – (١٣٢٧/٥).
(٣) نظم الدرر – (٣٠٤/٥) .
(٤) التحرير والتنوير (٨٨/٥).
(٥) نظم الدرر – (٣٠٤/٥) .
(٦) جامع البيان ( ٤ /١٤٣).
(٧)فتح القدير (٧٦٤/١) ؛ وتفسير البحر المحيط - (٣ / ٢٨٤)
(٨) التحرير والتنوير ( ٥ /٨٩).

**وَٱلۡحِكۡمَةَ** : أي النبوة ، وقال الدمشقي: الفقه في الدين.

وقال الطبري: " الحكمة: فما أوحى إليهم مما لم يكن كتابا مقروءا".

**مُّلۡكًا عَظِيمًا** : أي ضخماً واسعاً باقياً إلى أن تقوم الساعة، وهو ما وعد الله - به إبراهيم عليه السلام أن يعطيه ذريته وما آتى الله داوود وسليمان وملوك بني إسرائيل(١).

**واختلف في تحديد معنى الملك على عدة أقوال، وهي:**

- أنّ المراد به النبوّة، قاله مجاهد.
- أنّ المراد به تحليل النساء، أي: ما أحلّه الله لمحمد من النساء أحلّ مثله لداود وسليمان وغيرهما من الأنبياء، قاله السّدي.
- أنّ المراد به الملك الذي أوتي سليمان بن داود، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.
- أنّ المراد تأييدهم بالملائكة والجنود، قاله همام بن الحارث وغيره.

**وقد رجّح الطبري** القول بأنّ المراد ملك سليمان عليه السلام؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، دون غيرها من الأقوال، وغيرُ جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل فيهم من معانيه، إلا أن تأتي دلالةٌ أو تقوم حُجة على أن ذلك بخلاف ذلك، يجبُ التسليم لها(٢)".

**الهدايات:**

- بيان ما كان عليه اليهود من الحسد. قال أبو حيان: "والظاهر أنه - لما أنكر على اليهود حسدهم الناس على فضل الله - الذي آتاهم، أتى بما بعده على سبيل الاستطراد والنظر والاستدلال عليهم بأنه لا ينبغي لكم أن تحسدوا فقد جاز أسلافكم من الشرف ما ينبغي عليكم أن لا تحسدوا أحداً بعده.
- بيان ما مَنَّ الله به على آل إبراهيم عليه السلام من الكتاب والحكمة والملك العظيم.
- تضمنت هذه الآية تسلية الرسول ﷺ في كونهم يحسدونه ولا يتبعونه، فذكر أنَّهم أيضاً مع أسلافهم وأنبيائهم انقسموا إلى مؤمن وكافر، هذا وهم أسلافهم فكيف بنبي ليس هو منهم(٣)".
- فيه ذم الحسد والحذر من التخلق به، وأنه من أخلاق اليهود الذين أمرنا بطلب مخالفتهم. ولذا فإن من تزكية النفس السعي لتطهيرها منه بالإيمان والعمل الصالح.

## تحليل الآية الثانية

---

(١) التحرير والتنوير ( ٥ /٨٩)

(٢) تفسير الطبري ( ٧/ ١٦١ )

(٣) تفسير البحر المحيط - (٣ / ٢٨٥).

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

**فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ: اختلف في تأويل الآية على عدة أقوال، وهي:**

- أي من الذين أوتوا الكتاب من يهود من بني اسرائيل، «**يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا**». وهذا قول الطبري، وحاصل كلام ابن كثير والشوكاني والقرطبي.
- أو من آل إبراهيم عليهم السلام، وهم أغلب العرب، أي من آمن بإبراهيم عليه السلام، أو بالكتاب الذي جاء به النبي ﷺ، ومنهم من كفر كقوله: «**فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون**».

**بِهِۦ : اختلف في تأويلها على عدة أقوال، وهي:**

صدّق بما أنزل على محمد ﷺ، وهو القرآن، قال ابن عاشور: وهو الأولى[١].

- أو آمنوا بالفضل الذي أوتيه الرسول ﷺ.

وقيل: آمن بالنبي ﷺ لأنه تقدم ذكره وهو المحسود[٢]، كعبد الله بن سلام وأصحابه حينما آمنوا بالنبي ﷺ.

قيل: الضمير في به: راجع إلى آل إبراهيم عليهم السلام، وقيل: الضمير راجع إلى إبراهيم عليه السلام، والمعنى فمن آل إبراهيم من آمن بإبراهيم عليه السلام.

**وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ**: أي: أعرض عن التصديق والإيمان به، كبني إسرائيل وبعض العرب.

**وفيها قراءتان**: بضم الصاد، وبكسرها.

**وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ**: أي: وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم.

**سَعِيرًا**: في غاية الإحراق والعسر والإسراع إلى الأذى[٣]، وهو كناية عن شدة العذاب والعقوبة[٤].

**الهدايات:**

ـ بيان لصفة اليهود حيث حاشوا في الشح رغم ما أوتوا من الغنى، ثم اتصفوا بالحسد لمن آتاه الله ما لا ينقصهم، وفيها تسلية للرسول ﷺ وأن هذا ديدن اليهود المستمر[٥].

---

(١) فتح القدير (١/٧٦٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/٤١٩).

(٣)نظم الدرر – (٥/٣٠٥).

(٤)تفسير البحر المحيط - (٣ / ٢٨٥).

(٥)محاسن التأويل – (٥/١٣٢٨) .

**يقول الطبري:** "وفي هذه الآية دلالة على أن الذين صدّوا عما أنزل الله - على محمد ﷺ، من يهود بني إسرائيل الذين كانوا حوالَي مُهاجَر رسول الله ﷺ، إنما رفع عنهم وعيد الله الذي توعدهم به في قوله: (**آمنوا بما نزلنا مُصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنرُدّها على أدبارها** ... **الآية**) في الدنيا، وأخرت عقوبتهم إلى يوم القيامة، لإيمان من آمن منهم، وأن الوعيدَ لهم من الله بتعجيل العقوبة في الدنيا، إنما كان على مقام جميعهم على الكفر بما أنزل على نبيه محمد ﷺ، فلما آمن بعضهم، خرجوا من الوعيد الذي توعده في عاجل الدنيا، وأخرت عقوبة المقيمين على التكذيب إلى الآخرة، فقال لهم: كفاكم بجهنم سعيراً[(١)]".

ــ إثبات أن أحوال الناس تتراوح بين الإيمان والهداية وبين الضلال والكفر. وهذه سنة الله في خلقه التي يجب التصديق بها. وفي ذلك تثبيت للدعاة على الدعوة لله تعالى وما فيها من الأذى.

## تحليل الآية الثالثة

**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾**

**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ** : أي: الذين أقاموا على تكذيبهم بما أنزل الله على محمد ﷺ من يهود بني إسرائيل وغيرهم من سائر الكفار.

**بِـَٔايَٰتِنَا** : بآياتنا الظاهر عدم تخصيص بعض الآيات دون بعض.

**سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا** : أي: سوف نُنضجهم في نارٍ يُصلون فيها ويُشوون، وكلمة (سوف) تفيد توكيد التهديد والوعيد.

**كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم** : أي: كلما انشوت بها جلودهم فاحترقت فصارت كاللحم الميت الذي يكون فيه الجرح ، فلا يحس بالألم .

**بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا** : أي: غير الجلود التي قد نضجت وانشوت.

**اختلف المفسرون في تفسير التبديل، هل استخدم في معناه الحقيقي، أم المجاز، وهل التبديل بغيره، أو إعادته وهل يجوز أن يبدلوا جلودا غير جلودهم التي كانت لهم في الدنيا، فيعذبوا فيها ؟:**

طرح الإمام الطبري بعد تفسيره لهذه الآية إشكالاً حول حقيقة تبديل جلود أهل النار، وهل يتعارض هذا التبديل مع الحكم على أهل النار بالخلود الأبدي وعدم الفناء!

فإن جاز ذلك، عندك، فأجز أن يبدلوا أجساما وأرواحا غير أجسامهم وأرواحهم التي كانت لهم في

(١) تفسير الطبري ( ٧/ ١٦٢ )

الدنيا فتعذب!

وإن أجزت ذلك، لزمك أن يكون المعذبون في الآخرة بالنار، غير الذين أوعدهم الله العقاب على كفرهم به ومعصيتهم إياه، وأن يكون الكفار قد ارتفع عنهم العذاب[١]!".

**اختلف في تأويل الآية على عدة أقوال، وهي:**

**القول الأول**: أن ألم العذاب يقع على نفس الإنسان، أمّا اللحم والجلد فلا يقع عليها ألم، وإنّما هي بمثابة الآلة، وإنّما يُحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم هذا العذاب، وبناء على ذلك: لا فرق بين أن يُعاد للكافر جلده الذي عصى الله به في الدنيا، أو يُخلق له غيره؛ لأن العذاب واقعٌ على هذه النفس على كلّ حال، وعليه يكون معنى:

(**جلودا غيرها**) على حقيقته، بل غير بعيد أن يخلق الله لكل كافر في النار في كل لحظة وساعة من الجلود ما لا يحصى عدده، ويحرق ذلك عليه ليصل إلى نفسه ألم العذاب.

عن ابن عمر م في قوله: "**كلما نضجت جلودهم قال: إذا احترقت جلودهم بدلناهم جلودا بيضاء أمثال القراطيس**".

**القول الثاني**: أنّ ألم العذاب يقع الجلود، وأنّ سائر جسد بني آدم يتألم بالعذاب، فإذا أحرق جلده أو غيره من أجزاء جسده وصل ألم ذلك العذاب إلى سائر جسد، وبناء على ذلك: يكون المراد بالتبديل إعادة هذه الجلود إلى ما كانت عليه قبل احتراقها، لا أن تُبدل بأخرى غيرها، وعليه يكون معنى: (جلودا غيرها) أي: غير تلك المحترقة.

فيزال عنها الاحتراق ليعود إحساسها بالعذاب، فلم تبدل إلا صفتها لا مادتها الأصلية.

والمعنى: أعدنا الجلد الأول جديداً، ويأبي ذلك معنى التبديل[٢].فإن التبديل يقتضي المغايرة. قال القاسمي: وفيه بُعدٌ إذ يأباه معنى التبديل.

**القول الثالث**: المراد بالجلود هنا (السرابيل) ، وليست جلودهم الحقيقية، كما قال -: (**سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار**)[٣]، فلما كانت لهم لباساً لا يفارق أجسادهم جُعلت لهم جلوداً، والذي دفع أصحاب هذا القول إلى هذا التأويل قالوا: أن جلود أهل الكفر من أهل النار لا تحترق؛ لأن في احتراقها فناؤها، وفي فنائها راحتها، وهذا مُحال، لأن الله -ﷻ أخبرنا بأنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم من عذابها، وجلود الكفار أحد أجزاء اجسامهم، فلو جاز أن تحترق فتفنى فإن هذا يعني أنه مات أحد هذه الأجزاء.

---

(١)تفسير الطبري ( ٧/ ١٦٥ ).

(٢)فتح القدير (١/٧٦٦).

(٣) سورة إبراهيم: ٥٠.

لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ : أي: ليدوم لهم تذوّق ألم العذاب وكربه وشدّته. فكلما ظنوا أنهم نضجوا واحترقوا وانتهوا إلى الهلاك أعطيناهم قوة جديدة للحياة[١].

وقيل: ليحصل لهم الذوق الكامل بذلك التبديل[٢].

وهذا تعليل لقوله: (بَدَّلْنَاهُمْ)؛ لأن الجلد هو الذي يوصل إحساس العذاب إلى النفس بحسب عادة خلق الله -، فلو لم يبدل الجلد بعد احتراقه لما وصل عذاب النار إلى النفس. وتبديل الجلد مع بقاء نفس صاحبه لا ينافي العدل لأن الجلد وسيلة إبلاغ العذاب وليس هو المقصود بالتعذيب[٣].

عَزِيزًا : في انتقامه، لا يمتنع عليه ما يريده ﷻ يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، والعزة يتأتى بها تمام القدرة في عقوبة المجترئ على الله -.

حَكِيمًا : في تدبيره وقضائه، فيُعاقب وفق حكمته، فجعل عذابهم على قدر ذنوبهم والحكمة يتأتى بها تلك الكيفية التي يدخلهم بها في النار.

الهدايات:

١- الوعيد على من كفر بآيات الله بالنار.

٢- إثبات العقوبة بالنار، ويتفرع منها وجوب اعتقاد ذلك؛ لأن الخبر صادر من عند الله ﷻ وهو أصدق القائلين ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾.

٣- تمام قدرة الله ﷻ، حيث كلما نضجت وانشوت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها.

## تحليل الآية الرابعة

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

لما ذكر - الترهيب بعقاب الكافرين أتبعه الترغيب بثواب المؤمنين.

وَالَّذِينَ آمَنُوا : أي: الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ، وصدقوا بما أنزل الله - عليه مُصدقاً لما معهم ،من يهود بني إسرائيل وسائر الأمم غيرهم.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: أي: أدوا ما أمرهم الله - به من فرائضه، واجتنبوا ما حرم الله عليهم من معاصيه.

---

(١)محاسن التأويل – (١٣٢٨/٥) .

(٢)فتح القدير (٧٦٦/١).

(٣)التحرير والتنوير( ٩٠/٥).

سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ : أي: سوف يدخلهم الله - يوم القيامة (جنات)، يعني: بساتين.

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ: أي: تجري من تحت تلك الجنات الأنهار، وصفها - بما يديم بهجتها ويعظم نضرتها وزهرتها أي: إن أرضها في غاية الريّ، كل موضع منها صالح لأن يجري منه نهر(١).

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا : أي: باقين فيها أبدا بغير نهاية ولا انقطاع، لا يبغون عنها حولاً.

لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ : أي: لهم في تلك الجنات أزواج (مطهرة) بريئات من الأدناس والريب والحيض والغائط والبول والحبل والبصاق، وسائر ما يكون في نساء أهل الدنيا من صفات النقص.

وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا : أي: وندخلهم ظلاً عميقاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً، وجاء لفظ الظل مكررا لتأكيد معناه .

كما في قوله:(**وظل ممدود**)(٢)، وكما قال ﷺ: (**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، شجرة الخلد**(٣)).

**الأحكام:**

- أن الإيمان لا يتم استحقاق دخول الجنة به إلا إذا قرن بالعمل الصالح.
- أن العمل لا ينفع إلا إذا كان صالحاً، والصالح ما تضمن الإخلاص لله، والمتابعة للرسول ﷺ.

## تحليل الآية الخامسة

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾

**مناسبة الآية لما قبلها:** وهي أنه لما استطرد من ذكر أحوال أهل الكتاب في تحريفهم الكلم عن مواضعه، وافترائهم على الله ﷻ الكذب، وحسدهم بإنكار فضل الله إذ آتاه الرسول ﷺ والمؤمنين، فكل ذلك يشتمل على خيانة أمانة الدين، والعلم، وهي أمانات معنوية، فناسب أن يعقب ذلك بالأمر بأداء الأمانة الحسية إلى أهلها(٤).

**سبب النزول:** أخرج ابن مردويه عن ابن عباس م: أن النبي ﷺ لما فتح مكة، وقبض مفتاح الكعبة من

---

(١) نظم الدرر – (٣٠٨/٥) .

(٢) سورة الواقعة: ٣٠.

(٣) **أخرجه**: أحمد ( رقم: ٩٩٥٠) و الطبري ( ٧ / ١٦٨) ، وذكره ابن كثير ( ٢/ ٢٩٧).

(٤) التحرير والتنوير( ٩١/٥).

عثمان بن طلحة، نزل جبريل عليه السلام برد المفتاح، فدعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة ورده إليه، وقرأ هذه الآية[١].

**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ** : صريحة في الأمر بالوجوب، الأمانة: جمع أمانات، وهي كل ما اؤتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به[٢]، فأمر الله بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة، ولا مبخوسة، ولا ممطولاً بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار، والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله[٣]

**واختلف في تأويل فيمن وُجّه له الأمر في هذه الآية على عدة أقوال، وهي:**

- أنه المخاطب به ولاة أمور المسلمين، قاله زيد بن أسلم، وشهر بن حوشب، ومكحول.
- أن المخاطب به السلطان، بأن يعظوا النساء[٤]، قاله ابن عباس م.
- قال ابن جريج وغيره: ذلك خطاب للنبي ﷺ خاصة في أمر مفتاح الكعبة حين أخذه من عثمان بن أبي طلحة الحجبي، ومن ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وكانا كافرين وقت فتح مكة، فطلبه العباس بن عبد المطلب لتنضاف له السدانة إلى السقاية، فدخل رسول الله ﷺ الكعبة فكسر ما كان فيها من الأوثان، وأخرج مقام إبراهيم عليه السلام ونزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وخرج رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية، وما كنت سمعتها قبل منه، فدعا عثمان وشيبة فقال: (**خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم**). وحكى مكي: أن شيبة أراد ألا يدفع المفتاح، ثم دفعه، وقال للنبي ﷺ: «**خذه بأمانة الله**».

- قال أبي بن كعب: من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها.
- قيل عام لكل أحد في كل أمانة.

قال القرطبي:وممن قال إن الآية عامة في الجميع البراء بن عازب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي ابن كعب رضي الله عنهم قالوا: الأمانة في كل شيء في الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم والكيل والوزن والودائع.

وقال ابن عباس م: لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك الأمانة. قلت: وهذا إجماع، وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار، قاله ابن المنذر[٥].

**وقد رجّح الطبري** القول الأول منها، بأنّ الخطاب موجّه لولاة أمر المسلمين، والدليل على ذلك ما وعظ به الرعية في الآية التي تليها: (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...**)، فأمرهم الله - بطاعته،

---

(١)فتح القدير (٧٦٧/١).

(٢) الوسيط للواحدي ( ٢ / ١٨٣ ).

(٣) تفسير ابن سعدي ( ص: ١٨٣ ).

(٤) أي: في النشوز وغيره، حتى يردوهن إلى أزواجهن.

(٥) الجامع في أحكام القرآن (٤٢٥/٦).

وأوصى الراعي برعيته، وأوصى الرعية بالطاعة.

وأجاب عمّا قاله ابن جريج، بأن يجوز أن تكون الآية نزلت في عثمان بن طلحة، وأريد بها كل مؤتمن على أمانة في دين أو دنيا، فيدخل فيها ولاة أمور المسلمين.

**أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا**: أي: أن تؤدوا ما ائتمنتكم عليه رعيتكم، على ما أمركم الله - بأداء كل شيء من ذلك إلى من هو له كالزكاة والودائع وغيرها، لا تظلموها أهلها، ولا تستأثروا بشيء منها، ولا تضعوا شيئا منها في غير موضعه، ولا تأخذوها إلا ممن أذن الله لكم بأخذها منه، وهنا استخدم اللفظ على حقيقته.

وأيضاً يدخل فيها حقوق الله - على عباده من صلاة وصوم ونذر وغيره.

- ويطلق الأداء مجازا على الاعتراف والوفاء بشيء.

فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "**لتؤدن الحقوق إلى أهلها، حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء**[1]".

**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ**:

**اللغة**: الواو للعطف، والظرف متعلق بما بعد (أن) وهو معطوف على أَنْ تُؤَدُّوا.

أي: أن تحكموا بينهم بالإنصاف والسوية، فلا إفراط بإعطائه أكثر من حقه، أو تفريط بالإجحاف له من حقه، وكلا الطرفين يسمى جوراً. قال الضحاك: بالبينة على المدعي، واليمين على من أنكر[2].

وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء، والأموال، والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو.

والمراد بالعدل الذي أمر الله - بالحكم به، هو ما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ من الحدود والأحكام، وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به[3].

قال ﷺ: ( إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا .) وقال: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهله، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسؤولة عنه، والعبد راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته."

قال القرطبي بعد أن أورد الأحاديث السابقة: ( فجعل في هذه الأحاديث الصحيحة كل هؤلاء رعاة وحكاما على مراتبهم، وكذلك العالم الحاكم ، لأنه إذا أفتى حكم وقضى، وفصل بين الحلال والحرام، والفرض

---

(١) تفسير ابن كثير - (٢ / ٣٣٨).

(٢) الجامع في أحكام القرآن (٦/٤٢٧).

(٣) تفسير ابن سعدي ( ص: ١٨٣ ).

والندب، فجميع ذلك أمانة تؤدى، وحكم يقضى).[١]

**الهدايات:**

وإنما قيد الأمر بالعدل بحالة التصدي للحكم بين الناس، وأطلق الأمر برد الأمانات إلى أهلها عن التقييد؛ لأن كل أحد لا يخلو من أن تقع بيده أمانة لغيره لا سيما على اعتبار تعميم المراد بالأمانات الشامل لما يجب على المرء إبلاغه لمستحقه كما تقدم، بخلاف العدل فإنما يؤمر به ولاة الحكم بين الناس، وليس كل أحد أهلا لتولي ذلك فتلك نكتة[٢].

**نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ:**

**اللغة:**

جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها متضمنة لمزيد اللطف بالمخاطبين وحسن استدعائهم إلى الامتثال.

( ما ) تمييز منصوب والتقدير: نعم شيئا يعظكم به.

أو فاعل وتكون بمعنى الذي، والتقدير: نعم الشيء الذي يعظكم به.

وجوز النحاة أن تكون اسم موصول، أو نكرة موصوفة، أو نكرة تامة والجملة التي بعد (ما) تجري على ما يناسب معنى (ما)، وقيل: إن (ما) زائدة كافة (نعم) عن العمل.

الأصل فيها نَعِمَ وهي تقع في كل مدح[٣]، أي: نعم شيئاً يعظكم به، أو نعم الشيء الذي يعظكم به، والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الخصومات[٤].

**سَمِيعًۢا:** أي: إن الله - لم يزل سميعا بما تقولون وتنطقون، وهو سميع لذلك منكم إذا حكمتم بين الناس ولما تحاورونهم به.

**بَصِيرًا:** بما تفعلون فيما ائتمنتم عليه من حقوق رعيتكم وأموالهم، وما تقضون به بينهم من أحكامكم، بعدل تحكمون أو جور، لا يخفى عليه شيء من ذلك، حافظ ذلك كله، حتى يجازي محسنكم بإحسانه، ومسيئكم بإساءته، أو يعفو بفضله.

**الأحكام:**

١- أن من اؤتمن على أمانة وجب عليه حفظها في حرز مثلها؛ لأنه لا يمكن أداؤها إلا بحفظها؛ فوجب ذلك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٢٧).

(٢) التحرير والتنوير( ٥/٩٣_٩٥).

(٣) الجامع في أحكام القرآن (٤/٤٦٣).

(٤)ينظر: تفسير البيضاوي ( ٢/ ٨٠)

٢- في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ دلالة على أنها لا تدفع وتؤدى لغير المؤتمن، ووكيله بمنزلته؛ فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤدياً لها[١].

٣- وجوب الحكم بين الناس بالعدل.

## تحليل الآية السادسة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩

لما أمر - القضاة والولاة أن يحكموا بالحق إذا حكموا بين الناس، أمر الناس بطاعتهم.

وطاعة الله ﷻ هي: امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وطاعة رسوله ﷺ هي: فيما أمر به ونهى عنه، وذكر أولي الأمر مع طاعة الرسول، لأن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بطاعة الله-، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولوا الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية.

وحقيقة الطاعة: امتثال الأمر، كما إن المعصية ضدها، وهي مخالفة الأمر.

والطاعة: مأخوذة من طاع إذا انقاد، والمعصية مأخوذة من عصى، إذا اشتد[٢].

**سبب النزول:** أخرج في «كتاب المغازي» عن علي قال: **بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل عليها رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: «أليس أمركم النبي أن تطيعوني» قالوا:«بلى» قال: «فأجمعوا حطبا» فجمعوا، قال: «أوقدوا نارا» ، فأوقدوها، فقال «ادخلوها» ، فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضا، ويقولون: «فررنا إلى النبيء من النار» ، فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ ذلك النبيء فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف»**.

فقول ابن عباس ﷺ: نزلت في عبد الله بن حذافة، يحتمل أنه أراد نزلت حين تعيينه أميرا على السرية وأن الأمر الذي فيها هو الذي أوجب تردد أهل السرية في الدخول في النار، ويحتمل أنها نزلت بعد ما بلغ خبرهم رسول الله ﷺ، فيكون المقصود منها هو قوله: **فإن تنازعتم في شيء إلخ**، ويكون ابتداؤها بالأمر بالطاعة لئلا يظن أن ما فعله ذلك الأمير يبطل الأمر بالطاعة[٣].

**أَطِيعُواْ ٱللَّهَ**: فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه.

**وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ**: في حياته فيما أمر ونهى، وبعد وفاته باتباع سنته ﷺ، وأُعيد الفعل لتعظيم مكانة النبي

---

(١) تفسير ابن سعدي ( ص: ١٨٣ ).

(٢) الجامع لأحكام القرآن /القرطبي (٦،٤٣٢).

(٣) التحرير والتنوير ( ٥ /١٠١).

ﷺ بإعادة العامل ، بتكرار "**وأطيعوا** ".

**وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ : وقد اختلف أهل التأويل في تحديد المراد بهم على أقوال**[1]:

هم الأمراء، قاله أبو هريرة، وزيد بن أسلم، وغيرهم.

فائدة: يرى أهل البدع من المعتزلة ونحوهم أن هذا لايشمل أمراء الجور، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أحد أصول المعتزلة الخمسة يقتضي الخروج على أئمة الجور، وأما أهل السنة فيعتقدون بوجوب الطاعة لولاة الأمر والصبر على أئمة الجور وعدم الخروج عليهم ، لما يسبب ذلك من مفاسد أكبر قال ابن تيمية : (ونَهَى الرَّسولُ -صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ- عن قِتالِ أئمَّةِ الجَوْرِ، وأَمَرَ بالصَّبْرِ على جَوْرِهم، ونَهَى عن القِتالِ في الفِتنةِ، فأهلُ البِدعِ مِن الخَوارِجِ والشِّيعةِ والمعتزِلةِ وغيرِهم، يَرَوْنَ قِتالَهم والخروجَ عليهم إذا فَعلُوا ما هُوَ ظُلْمٌ أو ظَنُّوه هم ظُلْما، ويَرَوْن ذَلِكَ مِن بابِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المنكَرِ. )اهـ.

وقال النوويُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- في شرحِ مسلمٍ:( وأمَّا الخروجُ عليهم وقتالُهم فحرامٌ بإجماعِ المسلِمِينَ، وإنْ كانوا فَسقةً ظالِمِينَ، وقد تَظاهَرَتْ الأحاديثُ بمعنى ما ذَكَرْتُه، وأجمعَ أهلُ السُّنَّةِ على أَنَّ الإمامَ لا يَنْعَزِلُ بالفِسقِ، وقال العلماءُ: وسببُ عَدمِ انعزالِه وتحريمِ الخروجِ عليه ما يَترتَّبُ على ذَلِكَ مِن الفتنةِ وإراقةِ الدِّماءِ وإفسادِ ذاتِ البَيْنِ، فتكونُ المفسدةُ أكثرَ مِن المفسدةِ في بقائِه. انتهى.)

- هم أهل القرآن والعلم والفقه، قاله مجاهد، وابن أبي نجيح، وابن عباس، وعطاء، الحسن.
- هم أصحاب محمد ﷺ، قاله مجاهد.
- هما أبا بكر وعمر ، قاله عكرمة.
- هم أهل العقل والرأي.

**وقد رجّح الطبري** القول الأول، بأنهم الأمراء والولاة؛ لصحة الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعة، وللمسلمين مصلحة.

**تَنَٰزَعْتُمْ** : أي: تجادلتم واختلفتم فكأن كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها. والنزع: الجذب. والمنازعة: مجاذبة الحجج، ومنه حديث:" وأنا أقول: مالي ينازعني القرآن" والمعنى: ، (**فِي شَيْءٍ**) من أمور دينكم. فيما بينكم، أو أنتم وولاة أمركم، لإلباسه عليكم فاختلفت فيه آراؤكم.

وضمير تنازعتم راجع :(**للذين آمنوا**)، فيشمل كل من يمكن بينهم التنازع، وهم من عدا الرسول ﷺ، إذ لا ينازعه المؤمنون[2].

**فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ** : أي: ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله، فاتبعوا ما وجدتم فيه، من أمره ونهيه، وحكمه

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ( ٧/ ١٧٦ - ١٨٤ ).

[2] التحرير والتنوير ( ٥ /٩٩)

وقضائه. فهذا هو الرد

**وَٱلرَّسُولِ** : فإن لم تجدوا علم ذلك في كتاب الله -، فارتادوا معرفة ذلك عند الرسول ﷺ إن كان حيّاً، وفي سنته إن كان ميتاً. ومن لم يرَ هذا اختل إيمانه لقوله تعالى:"إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ " افعلوا ذلك إن كنتم تصدقون بالله - وبيوم المعاد الذي فيه الثواب والعقاب حقاً، لأن الإيمان يُوجب ذلك.

**ذَٰلِكَ** : أي: ردّ ما تنازعتم فيه إلى الله - والرسول ﷺ.

**خَيْرٌ** : أي: خيرٌ لكم عند الله - في معادكم، وأصلح لكم في دنياكم؛ لأنه يدعوكم إلى الألفة وترك التنازع والفرقة.

**وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** : أي مرجعا من آل يؤول كذا، أي: صار. وقيل: من أُلْتُ الشيء: إذا جمعته وأصلحته، فالتأويل: جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ لا إشكال فيه، يقال: أول (بتشديد الواو) الله عليك أمرك،: أي جمعه. ويجوز أن يكون المعنى: أحسن من تأويلكم. بلا ردّ للتنازع إلى الله - والرسول ﷺ.

**الهدايات:**

- دلت الآية على ترتيب الأصول الأربعة على ما هو فيها وعلى إبطال ما سواها.
- الآية فيها دليل على إن إجماع الأمة حجة، وذلك لأن الله - أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر بطاعته على سبيل الجزم والقطع، لابد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، ودليل على أن الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقاً فلا يجوز ترك العمل بهما بسبب القياس(١).
- أن عدم طاعة ولاة الأمر في معصية الله تعالى، لايستلزم الخروج عليهم، وقتالهم . لكثرة المفاسد الناتجمة على الخروج. قال ابن تيمية : ( ولعله لا يَكادُ يُعرفُ طائفةٌ خَرَجَتْ على ذي سُلطانٍ إلاَّ وكان في خُروجِها مِن الفسادِ أكثرُ مِن الذي في إزالَتِه.)[٢]

**الأحكام:**

- من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر(٣).

قال أبو حيان: "**واستدل بعض أهل العلم على إبطال** قول من قال: بإمام معصوم بقوله: وأولي الأمر

---

(١) تفسير الرازي ( ١٠ /١٤٨).

- (٢) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية/ عبدالعزيز الرشيد (ص: ٩٥)

(٣) تفسير ابن كثير - (٢ / ٣٤٦).

منكم. فإنّ الأمراء والفقهاء يجوز عليهم الغلط والسهو، فلو كان هناك إمام مفروض الطاعة لكان الرد إليه واجباً، وكان هو يقطع التنازع، فلما أمر برد المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة دون الإمام، دلّ على بطلان الإمامة[١]".

## تحليل الآية السابعة

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾

### سبب النزول:

- قيل أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين دعا رجلاً من اليهود في خصومة كانت بينهما إلى بعض الكهان، ليحكم بينهم، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم.

يقول الشعبي: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فكان المنافق يدعو إلى اليهود، لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين، لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة. فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة، فأنزل الله فيه هذه الآية: **(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك) حتى بلغ (ويسلموا تسليما)** [٢].

- قيل أنها نزلت في كعب بن الأشرف.

يقول ابن عباس ﷺ قوله: **(يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)، و(الطاغوت)** رجل من اليهود كان يقال له: كعب بن الأشرف، وكانوا إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله - وإلى الرسول ﷺ ليحكم بينهم قالوا: بل نحاكمكم إلى كعب[٣]!.

**أَلَمْ تَرَ**: يا محمد بقلبك فتعلم.

**ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ**: أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قلبك من الكتب.

قال الأصبهاني: ولا يستعمل -أي الزعم- في الأكثر إلا في القول الذي لا يتحقق، يقال: زعم فلان، إذا شك فيه فلم يعرف كذبه أو صدقه.

---

(١) تفسير البحر المحيط، (٣ / ٢٩١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري ( ٧/ ١٨٩ - ١٩٣ ) ، حيث أخرج عدداً من الروايات بسنده عن الشعبي عن هذه الحادثة، هذه أحدها.

(٣) ينظر: تفسير الطبري، ( ٧/ ١٩٣ ) ، وذكراً نحواً منها عن مجاهد والربيع بن أنس والضحاك.

**ٱلطَّٰغُوتِ**: من يعظمونه ويرضون بحكمه دون حكم الله -، قيل: أنه أحد الكهان، وقيل: أنه كعب بن الأشرف، وقيل ما عبد من دون الله.

ويدخل في معنى الطاغوت كلّ من يحكم بالباطل ويُؤثر لأجله، وسُمي بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان، أو لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان من حيث الحامل عليه(١).

**وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ**: وقد أمرهم الله - أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكمون إليه، فتركوا أمر الله - واتبعوا أمر الشيطان.

**وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** : أنّ الشيطان يريد أن يصد هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيجور بهم عنها جورا شديدا.

**الأحكام:**

- يقول الشنقيطي: "ويفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد أوضح - هذا المفهوم مُوبخاً للمتحاكمين إلى غير كتابه - وسنة نبيه ﷺ، وأشار إلى أنه لا يؤمن أحد حتى يكفر بالطاغوت بقوله: (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**...)(٢)، ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو كذلك، ومن لم يستمسك بالعروة الوثقى فهو بمعزل عن الإيمان؛ لأن الإيمان بالله - هو العروة الوثقى، والإيمان بالطاغوت يستحيل اجتماعه مع الإيمان بالله -؛ لأن الكفر بالطاغوت شرط في الإيمان بالله أو ركن منه كما هو صريح قوله: (فمن يكفر بالطاغوت) (٣)".
- استدل منكروا القياس بقوله -: (**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله** ..) على بطلان القياس؛ قالوا: لأنه - أوجب الرد إلى خصوص الكتاب والسنة دون القياس.

وأجاب الجمهور بأنه لا دليل لهم في الآية؛ لأن إلحاق غير المنصوص بالمنصوص لوجود معنى النص فيه لا يخرج عن الرد إلى الكتاب والسنة، بل قال بعضهم: الآية متضمنة لجميع الأدلة الشرعية فالمراد بإطاعة الله - العمل بالكتاب وبإطاعة الرسول ﷺ العمل بالسنة، وبالرد إليهما القياس؛ لأن رد المختلف فيه غير المعلوم من النص إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه، وليس القياس شيئا وراء ذلك .

وقد علم من قوله -: (**فإن تنازعتم**) أنه عند عدم النزاع يعمل بالمتفق عليه(٤).

---

(١) تفسير البيضاوي: ١/٨٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) أضواء البيان ( ١/ ٣٩٥).

(٤) ينظر: أضواء البيان ( ١/ ٣٩٥) ، تفسير البيضاوي ( ٢/ ٨٠).

**الهدايات:**

- التحذير من الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، إذ الإعراض عن ذلك، وطلب الحكم بالقوانين الوضعية وتقديمها على شرع الله من علامات النفاق، ومن صور الضلال التي يسلكها اتباع الشيطان والطاغوت.
- يقول الشنقيطي: "وصف الله في هذه الآية الكريمة ظل الجنة بأنّه ظليل، ووصفه في آية أخرى بأنّه دائم، وهي قوله: **(أكلها دائم وظلها)**[١]، ووصفه في آية بأنه ممدود **(وظل ممدود)**[٢]،وبين في موضع آخر أنها ظلال متعددة وهو قوله: **(إن المتقين في ظلال وعيون)**[٣]، وذكر في موضع آخر أنهم في تلك الظلال متكئون مع أزواجهم على الأرائك وهو قوله: **(هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون)**[٤]".
- من أعظم الأمور التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها تأدية الأمانة في جميع شئون الحياة، إذ أنها لا تقتصر على الأموال فحسب، بل القلب والبصر والسمع أمانة.

تم بحمد الله وبعونه

(١) سورة الرعد: ٣٥.

(٢) سورة الواقعة: ٣٠.

(٣) سورة المرسلات: ٤١.

(٤) جامع البيان، ١/ ٣٩٤ – ٣٩٥، والآية الكريمة من سورة يس: ٥٦.